

الظهور الإلهي - عيد الأنوار - الثيؤفانيا - الإبيفانيا

- لم يكن عماد المسيح عن حاجت للتطهر والاعتراف، ولا عن شعور تخطيت (حتى ولو كانت خطايا البشرية كلها). لم يكن أيضاً عن ملء أو امتلاء من الروح القدس لأنه كان كامل الطهارة وكامل اللاهوت ومائلاً للكل.
- لقد كانت معمودية يوحنا غاية بالأهمية لتهيئة الشعب وتطهير إسرائيل بالتوبة والاعتراف ومغفرة الخطايا حتى يستقبلوا المسيح ويظهر وسطهم كواحد منهم وهو الله المتجسد المتحد ببشريتهم.
- كان من أهداف معمودية المسيح أن يكون مشاركاً للبشرية، متضامناً مع خطاياها، ممثلاً عنها ونائباً لها، مكماً للناموس، مقدساً طاء الأردن ومؤسساً لسر المعمودية... الخ. "لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد." [اكو ١٢ : ١٣]
- أي أننا اعتمدنا بعماد المسيح وصرنا معه جسداً واحداً.
- ليس هذا فحسب بل كان للغساس العديد من الأهداف الأخرى والأكثر جوهرية وعمقا.

(١)

"يليق بنا أن نُكْمَلَ كُلُّ بَرٍّ." [مت ٣ : ١٥]

- أول أهداف عماد المسيح وغايته أجوهريته، كما أعلن بنفسه، هو تكميل كل بر. والمقصود هنا البر السمائي وليس بر الناس الأرضي أو بر نهر الأردن لأن: "الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع." [يو ٣ : ٣١]
- البر النازل من السماء هو بر الإخلاء، بر الخضوع والطاعة وتواضع القلب، كما رأيناه في طفل مزود البقر والعامل البسيط النجار. بر ينمو حتى منزلت العبد الذي يغسل أرجل أسياده. وبر طاعة الصليب وظلمت القبر.

• الغطاس هنا أعلن لكل العالم خضوع ابن الله والإخلاء وانحناء الرأس والنفس تحت يد الإنسان الذي خلقه.

• الغطاس أعلن لكل العالم خضوع ابن الله والطاعة للدعوة السماوية والتدبير الإلهي، حسب تأكيد المسيح بنفسه حينما تحدّى رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب في الهيكل متسائلاً: "معمودية يوحنا من أين كانت من السماء أم من الناس؟" [مت ٢١ : ٢٥]

* تكميل بر معمودية يوحنا التي كانت با ماء فقط، وكان ينقصها بر انفتاح السماء عليها، بر الروح القدس وأيضاً بر صوت الآب من السماء: "أنا أعمدكم بماء للتوبة، لكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، ... هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار." [مت ٣ : ١١]

(٢)

"أنا لم أكن أعرفه، لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئتُ أعمدُ باماء." [يو ١ : ٣١]

• كان عماد المسيح بغاية الأهمية والضرورة القصوى، كي يتعرف عليه يوحنا - بواسطة الروح القدس - وأيضاً كي يظهر لشعب إسرائيل: "لكن الذي أرسلني لأعمد باماء ذلك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو..." [يو ١ : ٣٣]

• كان عماد المسيح أول إعلان مستعلن لكل الشعب مسموعاً ومنظوراً بل مؤيداً وموثقاً بختم السماء والروح القدس وصوت الرب.

• حينما تعرّف يوحنا وتحقق من شخصيت المسيح، أنه الذي يحل الروح القدس ويستقر عليه. بناءً عليه يتوجب على يوحنا أن يسلمه الرسالت ثم يحتفي هو، لأن مهمته هي إعداد الطريق أمام المسيح والإعلان والشهادة عن بدء العهد الجديد .. عهد ملكوت السموات. "ينبغي أن ذلك يريد وأني أنا أنقص." [يو ٣ : ٣٠] "إذا فرحي هذا قد كمل" [يو ٣ : ٢٩]

* لقد تفهم يوحنا دوره بالضبط كصديق للعريس:

"من له العروس فهو العريس." [يو ٣ : ٢٩]

"الآب يجب الابن وقد دفع كل شيء في يده." [يو ٣ : ٣٥]

"الذي يؤمنُ بالابنِ له حياةٌ أبديةٌ". [يو ٣ : ٣٦]

(٣)

"للوقتِ وهو صاعدٌ من اماءِ رأى السمواتِ قد انشقتُ" [مر ١ : ١٠]

• أيضاً من الأهداف أجوهريت لعماد المسيح انشقاق السماء على البشر بعد طول انغلاق وانعزال .. وهو ما كان شهوة الآباء والأنبياء منذ القدم: "ليتك تشقُ السمواتِ وتنزلُ".

[إش ٦٤ : ١]

• وسوف تظل السماء مفتوحة إلى الأبد ولن تنغلق ثانية كما أكد المسيح: "من الآن ترون السماء مفتوحةً وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان". [يو ١ : ٥١]
لأن نزول الابن هو نزول أبدي لكلمة الله أحييت الناطقة الساكنة فينا . فاسمه هو عمانوئيل أي الله معنا. "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر". [مت ٢٨ : ٢٠]

• هذا ما رآه الآباء والرسل منذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا. مثل اسطفانوس، بطرس، بولس، يوحنا... الخ. وهذا هو نفسه ما نلمسه ونمارسه يوميا في صلواتنا، طلباتنا، قداساتنا، أصوامنا... الخ.

• بالمعمودية، انشقت السماء لأنها أحجاب الذي كان يجب الآب وهيكله السمائي عنا. تماماً كما انشق حجاب الهيكل الفاصل بين الشعب وقدس الأقداس كحظت اكتمال الغداء على عود الصليب، حيث انشق أيضاً جسد المسيح الذي كان يجب لاهوته عنا. [عب ١٠ : ١٩]

• أيضاً نذكر انشقاق رداء رئيس الكهنة وزوال كهنوته وبدء كهنوت المسيح السمائي. إنها كحظت "ملء الأزمنت" وتحقيق المصاكت ليجمع الكل في جسده الذي هو نحن كحمه وعظامه. "ما في السموات وما على الأرض" [أف ١ : ١٠]

(٤)

"الرُّوحُ مِثْلُ حَمَامَةٍ نَازِلًا عَلَيْهِ" [مت ٣، مر ١، لو ٣، يو ١]

"أَنَا قَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي". [مز ٢ : ٦]

"مَسَحَكَ اللَّهُ بَدَهْنِ الْإِبْتِهَاجِ". [مز ٤٥ : ٧]

"رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي" [إش ٦١ : ١]

"مَسَحَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ" [أع ١٠ : ٣٨]

المسحت اصطلاح لاهوتي يفيد التخصص الكامل للخدمة. ولا يجري إلا على رئيس الكهنة والملك والنبى.

• كان العماد حتمية كي يُمسح المسيح من السماء مباشرة. "الذي أرسلني لأعمدَ باماءٍ ذاكَ قالَ لي: الذي تَرى الرُّوحَ نازِلًا ومستقرًا عليه فهذا هو". [يو ١ : ٣٣]

• يستحيل معرفت المسيح والتعرف عليه شخصياً دون عمل الروح القدس الداخلى الذي يفتح الذهن والبصيرة بعمل تكميل بر التوبة والاعتراف وغفران الخطايا. فيتأكد يوحنا من بنوة الابن ويرى إخلاص والفداء رؤيا اليقين.

• شهد وصرخ مبشراً في كل البرية ولم يسكت أبداً: "هذا هو حملُ الله الذي يرفعُ خطايا العالم". [يو ١ : ٢٩] "أنا رأيتُ وشهدتُ أن هذا هو ابنُ الله". [يو ١ : ٣٤]

• بصعود المسيح من اماء ونزول الروح القدس عليه تم اكتمال عنصرى الخلق الجديدة والميلاد من فوق من السماء- وتجديد الالتحام بين الله والإنسان. "أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله". [يو ١ : ١٢] "إن لم تولدوا من اماءٍ والرُّوح لن تدخلوا ملكوت الله" [يو ٣]

• إنها بداية حياة جديدة للإنسان مع الله، أكملها المسيح بعموديته، وأساس متين للطريق المسيحى نحو السماء.

(٥)

"هَذَا هُوَ ابْنِي أَحَبُّبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ." [مت ٣ : ١٧]

شهادة لشعب إسرائيل .. وشهادة للمسيح نفسه : "أنتَ ابني أَحَبُّبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ." [مر ١ : ١٠]

• صوت الآب من السماء هذا هو أعظم إعلان مستعلن من السماء نفسها أن هذا - هو ابن الله المتجسد بين البشر كواحد منهم ، بعد أن أخلى ذاته آخذاً صورة عبد وصائراً في شبه الناس.

• هذه هي المرة الأولى لسماع صوت الآب من السماء في استعلان المسيح. المرة الثانية نسمعه عند التجلي وثالثاً قبل الآلام مباشرة ، عند نهاية خدمته يوم أحد السعف.

• "فجاء صوت من السماء مَجْدَتْ وَأَمَجَّدُ أَيضاً ... أَجَابَ يَسوعُ وَقَالَ : لَيْسَ مِنِّي أَجْلِي صَارَ هَذَا الصَّوْتُ بَلْ مِنِّي أَجْلِكُمْ." [يو ١٢ : ٢٨]

جاء هذا الصوت من أجلنا نحن ، كي ندرك أننا مع المسيح وبه وفيه ، ننعيم بسرور الآب السماوي ونحسب أبناءاً له من خلال المعمودية وعمل روحه القدس : "إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ." [١ كو ٥ : ١٧]

• وهكذا بمعمودية المسيح وتغطيته في نهر الأردن ظهر الثالوث القدوس غير المنفصل .. الله الواحد وليس ثلاث. ظهر لتجديدنا نحن البشر الذين صرنا أبناء الله بالتبني بفضل معمودية ابنه.

• بعدها جاء المسيح إلى أجليل يكرز ببشارة ملكوت الله : "اقترِبْ مَلَكُوتُ اللهِ. فَتَوْبُوا وَأَمْنُوا بِالْإِنْجِيلِ." [مر ١ : ١٤]